

ما لنا تجزع ولو أنه كان لحوشيت أن تكون جزوعا
قد شكرنا يداً تجافت عن الأصل وإن جثت الغصون فروعا
وقوله:

والمصيبات لا يصبين سوى الأخيار منذاً إذا ولجن الربوعا
وإذا لم يكن سوى الموت فالماضى بطيئاً كمن يموت سريعاً
ويموت مؤدب ولده فيرى من الحق عليه أن يرثيه بقوله:
إن كان غيبك التراب الأحمر وحللت مرتاً لا يزورك زورٌ
فلقد جزعتُ على فراقك بعد ما طننوا بأرضي عنك جهلاً أصبر
ثم ينساق في تيار الزهد والتصوف إذ يقول:

خذ بالبنان من الحياة فإنما هو عارض متكشف متحسّر مبدّر ودع الكثير فانهما لهما جمع
النضار إلى النضار منذر(1)

وكأنما ظل الحياة على الفتى ظل أتاه في الهجير مهجّر
ثم ذكر أن حرمة الأدب تقوم مقام حرمة النسب، وأن أصله الأعجمي لا يزرى به؛ فإن للأعاجم
المثقفين فضلاً يعلو بهم على كثير من العرب الذين لم ينهلوا من معين العلم:
إن لم تكن من عنصري وأرومتي فلحرمة الآداب فينا عنصر
أو لم تكن للعرب فيك ولادة فالمعربون كلامهم بك بصروا
ماض شيئاً من زمته أعاجم ولديه آداب الأعراب تسطروا
ولكم لنا عرب الأصول تراهم عمياً عن الإعراب لم يستبصروا
ومن أشهر مراثيه رثاؤه لأخيه الرضى، وكان الرضى أصغر سناً منه بأربع سنوات، وقد جزع
المرتضى لوفاته جزعاً شديداً، لم يستطع أن ينظر إلى أخيه في السياق، ولا محمولا على
أعناق الرجال، أو يشهده وقد دلّى في قبره وأهيل

(1) النضار: الذهب، والمبدر: الذي يجمع المال بداراً، والبدر: مقدار من المال يوضع في كيس، قيل عشرة آلاف درهم، وقيل غير ذلك.

